الحَدِيثُ الحَادِي والعِشْرُونَ

عَنْ أَبِي عَمْرٍو - وَقِيلَ أَبِي عَمْرَةَ - سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ](١).

هَذَا الحَدِيثُ أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّـهِ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُ كَلَامًا جَامِعًا لِلْخَيْرِ، وَاضِحًا فِي أُسْلُوبِهِ، بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ، وَإِلَى مَنْ يُوَضِّحُهُ وَيُبَيِّنُهُ، وَيَكُونُ وَاضِحًا فِي نَفْسِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُوتِيَ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَفَصْلَ الخِطَابِ، وَاللهُ أَقْدَرَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَجَابَ هَذَا الرَّجُلَ بِكَلِمَتِينِ تَجْمَعَانِ لَهُ الخَيْرَ كُلَّهُ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُولَ: «آمَنْتُ بِاللَّـهِ» ثُمَّ يَسْتَقِيمَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا كَمَا فِي القُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠]، وَفِي الآيَةِ الأُخْرَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الأَحْقَاف: ١٣، ١٤]، فَاللهُ - جَلَّ وَعَلَا - أَمَرَ نَبِيَّهُ بِذَلِكَ، وَأَمَرَ المُؤْمِنِينَ، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ [هُود: ١١٢]، وَقَالَ تَعَالَى لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فُصِّلَت: ٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨) وفيه: «فاستقم»

وَقَوْلُهُ ﷺ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّـهِ» الإِيمَانُ ـ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ وَتَكَرَّرَ بَيَانُهُ ـ أَنَّهُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، واعْتِقَادٌ بِالقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ، وَهَذَا الحَدِيثُ يُبَيِّنُ هَذَا، «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّـهِ» هَذَا قَوْلٌ، فَيَقُولُ الإِنْسَانُ: آمَنْتُ بِاللَّـهِ، وَيَكُونُ مُسْتَقِيمًا عَلَى ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ، وَيَقِينِهِ، وَمُسْتَقِيمًا عَلَيْهِ فِي أَعْمَالِهِ؛ لِأَنَّ الاسْتِقَامَةَ تَعْنِي اسْتِقَامَةَ القَلْبِ، وَاسْتِقَامَةَ الأَعْمَالِ، فَجَمَعَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ الخَيْرَ كُلَّهُ فِي هَاتَيْنِ الكَلِمَتَيْنِ «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّـهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»، فَلَا يَكْفِي أَنَّ الإِنْسَانَ يُؤْمِنُ بِقَلْبِهِ، وَلَا يَقُولُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَكْفِي أَنْ يَقُولَ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْتَقِيمَ فِي قَلْبِهِ، وَأَعْمَالِهِ، بَلْ لَابُدَّ مِنَ الأُمُورِ الثَّلَاثَةِ:

* النُّطْقِ بِاللِّسَانِ.
* وَالاعْتِقَادِ بِالقَلْبِ.
* وَالعَمَلِ بِالجَوَارِحِ.

وَالاسْتِقَامَةُ مَعْنَاهَا أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ مُعْتَدِلاً مُسْتَقِيمًا بَيْنَ الغُلُوِّ وَبَيْنَ التَّسَاهُلِ، فَلَا يَكُونُ غَالِيًا وَزَائِدًا وَطَائِشًا، وَلَا يَكُونُ مُتَسَاهِلاً مُنْحَلًّا، بَلْ يَكُونُ مُعْتَدِلاً؛ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هُود: ١١٢]، فَالاسْتِقَامَةُ تَكُونُ بِحَسَبِ الأَوَامِرِ لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا، ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ أَيْ: كَمَا شَرَعْنَا لَكَ، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ أَيْ لَا تَزِيدُوا وَتَغْلُوا فِي الاسْتِقَامَةِ؛ لِأَنَّ الخُرُوجَ عَنِ الاسْتِقَامَةِ يَكُونُ بِأَحَدِ أَمْرِينِ: إِمَّا بِالزِّيَادَةِ عَلَيْهَا، وَإِمَّا بِالنَّقْصِ مِنْهَا، فَالزِّيَادَةُ يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ تَرْكُهَا، أَمَّا النَّقْصُ فَالإِنْسَانُ عُرْضَةٌ لِلنَّقْصِ، وَمَا مِنَّا أَحَدٌ يَسْلَمُ مِنَ النَّقْصِ، لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهُ الاسْتِغْفَارَ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فُصِّلَتْ: ٦]، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، واعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»(١).

فَقَوْلُهُ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا**» أَيْ: مَهْمَا عَمِلْتَ لَنْ تُحْصِيَ الدِّينَ، فَالدِّينُ كَثِيرٌ وَالأَوَامِرُ كَثِيرَةٌ، وَلَابُدَّ أَنْ يَحْصُلَ مِنْكَ تَقْصِيرٌ؛ لِأَنَّكَ عَبْدٌ ضَعِيفٌ، فَعَلَيْكَ بِالاسْتِغْفَارِ؛ لأَنَّ الاسْتِغْفَارَ يَمْحُو مَا يَحْصُلُ مِنْكَ، وَيَجْبُرُ مَا يَحْصُلُ مِنْكَ مِنْ النَّقْصِ، فَالاسْتِقَامَةُ أَمْرُهَا عَظِيمٌ، فَالإِنْسَانُ لَا يَغْلُو وَلَا يَجْفُو، فَقَوْلُهُ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**» مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ التِي أُعْطِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

* * *

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧، ٢٧٨)، والدارمي في سننه (٦٥٥)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٦)، ومالك في الموطأ (١/ ٣٤)، والحاكم في المستدرك وصححه (١/ ٢٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.